كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم النفس

مادة العمليات المعرفية في المواقف التربوية
السنة أولى ماستر تخصص علم النفس التربوي
السداسي الأول

د. حاجب سلسبيل

المحاضرة الرابعة

الإدراك والتمثل

تمهيد

يؤدي اكتساب المعارف وتعلم التفكير Apprendre à raisonner إلى تطور العمليات المعرفية وارتقائها، لذلك فإن العملية التعليمية تفرض على المعلم أن يعرف:

- الحدود الفيزيائية والقوانين التي تنظم الإدراك وتمنحه الآلية في الاشتغال.
- مكانة الإدراك الهامة والقوية.
- تسمح التمثلات الذهنية الموجودة في الذاكرة بتفسير عناصر البيئة التي نعيش فيها.
- الاستدلال المنطقي Le raisonnement analogique.

ونتيجة لذلك فإنه يجب معرفة أنه من الصعب استبدال تمثلات الأطفال بتمثلات جديدة وإقناعهم بتفسير واستدلال وتفكير Raisonnement جديد بدل الذي يملكونه؛ كما أنه ينبغي تعليمهم كيفية تحليل تمثلاتهم الذهنية وتحليل تفكيرهم التلقائي باستخدام أدوات المنطق الصوري (الرياضيات والإحصاء) مع التأكيد على مراعاة تفكير الآخرين.

1- الإدراك

تأتي مدركاتنا من بيئتنا ومن ذواتنا، الأمر الذي يجعلها محددة بقيود مادية/ فيزيقية، حيث تعمل مجموع الخلايا العصبية من تخصصات مختلفة بالتآزر أو التحالف فيما بينها وتنتج موضوعات ذهنية (التي تكون طبعا ناتجة عن مدركاتنا الحسية) تقابلها التمثلات الذهنية التي نمتلكها وتوجد في الذاكرة.

يدرك الدماغ بعض عناصر بيئتنا وإحساساتنا الناتجة عن الذات عن طريق البصر والسمع والشم والذوق واللمس إضافة إلى إدراك الفضاء/ المجال La perception de l'espace. يتلقى الدماغ الإحساس من الجسم بأكمله، بعض هذه الإحساسات تساهم في الاشتغال العادي للدماغ مثل الرغبة في النوم والشعور بالجوع والعطش... وبعضها الآخر يعطي إشارة من أجل تعطيل الاشتغال مثل مستقبلات الألم، كما تعالج بنية الدماغ كذلك عواطفنا مثل الخوف والألم واللذة... التي قد تصل أو لا تصل إلى الدماغ.

إذا كنا ندرك معطيات بيئتنا أو نشاط ذواتنا بواسطة الأعضاء الحسية فإن هذه المعطيات تصبح عبارة عن معلومات بعد انتقائها من قِبَل الدماغ ومعالجتها وتفسيرها وتأويلها وفقا لتمثلاتنا الذهنية، ثم نفكر حول هذه المعلومات بهدف الرد أو الإجابة وأيضا من أجل تحليل المشكلات وحلها ثم اتخاذ القرار المناسب.

تواجه أعضاؤنا الحسية صعوبات مادية تشكل قيودا تَحُدُّ من مجال إدراكنا البصري والسمعي والشمي والذوقي واللمسي. لهذا نلجأ إلى التعبير عنها باستخدام لغة تعبر عن القيود/ الحدود، مثال ذلك:

- مضى كل شيء بسرعة كبيرة.
- لم أجد الوقت لأراك.
- أنا لا أفهم هذا الذوق.
- أنا لا أشم هذه الرائحة.

إن السائل العصبي Influx الذي ينتج عن المثيرات الحسية (البصرية والسمعية والشمية إلخ) يَعْبُرُ الخلايا العصية المتخصصة التي تعمل في تآزر وفي نفس الآن لها نشاط تلقائي متزامن يهدف إلى اكتشاف البيئة المادية والاجتماعية والثقافية إلى جانب ترميز الموضوعات / الأشياء والحالات ومقابلتها بالتمثلات الذهنية الموجودة في الذاكرة.

1-1- علاقة الإدراك بالإحساس

يُعَدُّ الإحساس ظاهرة نفسية عضوية ينتج عن تأثر أحد الأعضاء الحسية لدى الفرد حيث يتغير مصدر شعوره واتجاه سلوكه، إنه حالة نفسية تأتي بعد انتقال الأثر العصبي من الأعصاب إلى المراكز الحسية.

تتدخل في عملية الإحساس منبهات خارجية فيزيائية مثل الموجات الضوئية والاهتزازات السمعية وكيميائية مثل الذرات الشمية أو الذوقية. يحدث هذا الإحساس وفق شروط فيسيولوجية تتلخص في الحواس التي هي وسائل للاتصال والأعصاب الناقلة والمراكز العصبية. يتحول التأثير البيولوجي إلى إحساس عندما يصل التنبيه إلى الحواس ثم تنقله تيارات عصبية معينة إلى الدماغ حيث يترجم إلى شعور ويُحدَّد السلوك المطلوب.

تتجلى أنواع الإحساسات في اللمس (الخشونة والضغط والثقل والصلابة واللين...) والحرارة والألم والحركة والتوازن، هذا الأخير مسؤولة عنه الأذن الداخلية التي تطلعنا على كل تغيير في أوضاع الرأس والجسم. هناك أيضا الإحساسات الكيميائية هي الشم والذوق والسمع والبصر. يتأثر الإحساس بعوامل فيزيائية تجعله استجابة للمؤثرات الخارجية، وبعوامل فيسيولوجية وأخرى نفسية.

يحدث الإحساس على مستوى القشرة الدماغية لكنه يظل مجردا من المعنى من دون إدراك، فهذا الأخير يعمل على ترجمته حسب الخبرات السابقة، فرؤية الألوان مثلا تعد مجرد إحساس والإدراك هو الذي يمنحه دلالته حيث يتولى تنظيمه ويضيف إليه صور وذكريات معزولة قدر الإمكان عن الطابع الانفعالي أو الحركي.

2- التمثل الذهني

التمثل الذهني هو نموذج مبسط ومختصر للواقع الخارجي، دعامته عصبية وبالتالي مادية فيزيقية يتم انتقاؤها وتخزينها في الذاكرة، مثلا عندما نسمع أو نقرأ كلمات من قبيل: سيارة- قوس قزح- الزرافة- الشوكلاطة... فإننا نستحضر صور ذهنية، لكن عندما نسمع أو نقرأ عبارات أو لحن معين أو نشم رائحة معينة أو نتذوق طبق فإننا نستحضر تمثلات ذهنية.

التمثل الذهني هو أعم من الصورة الذهنية ويتضمن هذه الأخيرة، فهو خاضع للاكتساب حيث يقوم الفرد بتصميمه ويعمل الدماغ وفق تنظيم ذاتي Système auto- organisé مفتوح وديناميي ينتج تمثلات ويصممها للعالم الخارجي، أي أن الدماغ ليس آلة لتجهيز المعلومات الآتية من العالم الخارجي بشكل سلبي.

يخضع التمثل في سيرورة تكوينه لعمليتين هما التوضيع والترسيخ، بالنسبة للأولى، أي عملية التوضيع، تشكل نواة لبناء التمثل فمن خلالها يتم إعادة بناء الموضوع. تستند هذه العملية على الانتقاء والتخطيط، أي يتم انتقاء معلومات خاصة

بالتمثل حسب ما تقتضيه المعايير الاجتماعية، وهنا يتبنى الفرد الرموز والمعايير والقيم والمعارف الملائمة لتمثلاته السابقة حول موضوع ما، فمن خلال عملية الانتقاء تتشكل قاعدة توافق ما بين مكونات ومضامين تمثلات الأفراد وبين أشكال وصيغ بنائها من طرف الأفراد. وفيما يتعلق بالتخطيط فالفرد هنا يقوم بإنشاء مفاهيم نظرية على شكل فئات حيث يعمل على تجزيء معطيات التمثل حسب خبراته لتستجيب لقواعد معرفية وسلوكية أي حسب تمثلاته السابقة وتحترم معاييره الاجتماعية، وهذا ما يسهل عملية استدعائها.

أما بالنسبة للعملية الثانية أي الترسيخ الذي يمكن اعتباره مرادفا لاستقرار التمثل حيث يصبح حقيقة مرجعية يستند إليها الفرد في كل أفعاله وسلوكاته.

التمثل هو خليط من الأنساق المختلفة تضمن للفرد قاعدة للتصرف وهو يتضمن المفاهيم والمعايير الاجتماعية والمواقف والاتجاهات والوقائع والتصورات والمعتقدات والأحكام المسبقة يتميز بكونه يخضع لعملية التجديد وإعادة البناء.